

الشخصيات في روايتي: "قصة آه كيو الحقيقية" و "يوميات
نائب في الأرياف" دراسة مقارنة

طالبة الدكتوراه يا هويها
كلية اللغات الشرقية - جامعة شانغهاي للدراسات الدولية
florasisu@sina.com

**Characters in two novels: "The True Story of
Ah Q" and "Diary of a Deputy in the
countryside" A Comparative Study**

**PhD student Ye Haihua
Faculty of Oriental Languages-Shanghai
International Studies University
florasisu@sina.com**

Abstract:

The countryside has always been an important subject of literary writing and novel creation. Set in historical contexts around certain themes, rural novels depict multitudes of cultures in a plain yet authentic way, making them a significant part of modern and contemporary literature in both China and Egypt. Giants of modern literature, Lu Xun and Tawfiq al-Hakim both have made great contributions to the development of rural literature. This research will depend on history and socially resonant realities to compare the characters of the two aforementioned novels, which are among the best Chinese and Egyptian rural novels. This thesis gives an introduction of the two writers and their novels, lays out the backgrounds for their writing and analyzes the thinking contained. By a detailed comparative study of the characters in these two novels, this thesis aims to explain the similarities in the characters at the beginning of the last century and it goes on to elucidate how rural life and the destiny of a nation are

المخلص:

ظلّ الريف بيئة بكرًا للكتابة الأدبية، وموضوعًا مهمًا للإبداع الروائي. وتُعدّ الرواية الريفية جزءًا مهمًا من الأدب الصيني والأدب المصري الحديث والمعاصر بدلالاتها التاريخية العميقة ومعانيها الثقافية الغنية وتقنياتها التعبيرية الأصيلة. وفي كلا الأدبين، كُتِبَ أعلام يُذكَرون ذِكرًا حسنًا في نفاذ أقلامهم إلى الريف ومشكلاته، وأبرزهم في الصين لو شيون، وتوفيق الحكيم في مصر. وهذا البحث سيعتمد على التاريخ وما يتصل به من الوقائع ذات الصدى الاجتماعي للمقارنة بين شخصيات الروائيتين المذكورتين آنفًا اللتين هما من أفضل الروايات الريفية الصينية والمصرية. وسيبدأ البحث بتقديم مبسّط للكاتبين وروايتيهما، ومن ثمّ سيشرح في دراسة مقارنة تفصيلية للشخصيات فيهما على أساس تحليل خلفية الروائيتين والأفكار التي تنضوي تحتها، مما يوجّه الضوء على تقارب الشخصيات في الأدب الريفي الصيني والمصري في مستهلّ القرن الماضي. وخلال ذلك يمكن للبحث تفسير العلاقة المتشابهة بين وضع الأرياف للدولتين ومصيرهما.

الكلمات المفتاحية: لو شيون، توفيق الحكيم، الأدب الريفي، الشخصيات، دراسة مقارنة.

closely intertwined in the process
of a social transformation.

Keywords : Lu Xun, Tawfiq al-Hakim, rural literature, the characters, comparative study.

المقدمة:

في النصف الأول من القرن الماضي، اضطهدت الصين ومصر من قبل الإمبريالية الغربية والحكم الإقطاعي، فتخلف البلدان وعانى الشعبان. فأمل لو شون وتوفيق الحكيم، بصفتها أدبيين يمتلكان إحساساً راسخاً بالمسؤولية الاجتماعية، بتغيير هذا الوضع، لذلك كانا يحاولان إيقاظ وعي عامة الناس والطبقة الحاكمة من خلال أدبيهما. كتبت "قصة آه كيو الحقيقية في عام ١٩٢١، وهي تستند على "ثورة شين هاي" التي وقعت في عام ١٩١١، والتي سرق الرجعيون ثمارها عام ١٩١٢. وبين عامي ١٩١٤ و١٩١٨ شاركت الصين في الحرب العالمية الأولى وأنفقت موارد مالية ومادية ضخمة، ووقتها عرّزت اليابان حكمها الاستعماري على الصين، مما جعل الدولة خاويةً، والشعب الصيني المسكين أكثر فقراً وبؤساً. أما رواية "يوميات نائب في الأرياف" فقد كتبت عام ١٩٣٧ على أثر اندلاع الثورة المصرية في التاسع من مارس عام ١٩١٩، المضادة للإمبريالية البريطانية. وعلى الرغم من أنّ مصر حصلت على استقلالها الاسمي بعد نضال مرير، بيد أنها في ذلك الوقت كانت تحت الحكم الاستعماري البريطاني. وفي عام ١٩٣٦، حثت بريطانيا مصر على توقيع "المعاهدة البريطانية المصرية ١٩٣٦"، التي جعلت مصر مستعمرة بريطانية بحجة القانون في الواقع. كما توأطأت النفوذ الداخلية مع المستعمرين على معارضة ثورة الشعب المصري الذي كان يعيش حياة شديدة الفقر. فكشف الكاتبان عن مختلف المشاكل المتجذرة في البيئات الريفية في الصين ومصر من خلال رسم الشخصيات المتنوعة في روايتيها الريفيتين "قصة آه كيو الحقيقية" و "يوميات نائب في الأرياف"، حيث ربطا هذه المشاكل بمستقبل البلاد، وفضحا فساد الطبقة الحاكمة وأيقظا وعي الناس. وفي الوقت نفسه، لم تستعمل الروايتان سرداً مطولاً لوصف هذه البيئة، وإنما كان تركيز السرد منصباً على توصيف الشخصيات. فحاول الكاتبان توظيف التقنية الأكثر اقتصاداً لتجسيد خصائص الشخصيات. وهذا البحث سيشعر في المنهج المقارن الذي يقتضي إيجاد العناصر والصور المشتركة والأفكار المتواشجة بين عملين أدبيين ينتمي أحدهما إلى بيئة مغايرة لبيئة الآخر، وعليه كانت شخصيات الروايتين أوضح تلك العناصر القابلة للمقارنة، إذ تكمن فيها مرجعية الكاتبين الفكرية التي يستحيل خلق الشخصية الروائية بمعزلٍ عنها. وعليه ضُمَّت هذه الأفكار في مبحثين تسبقهما مقدّمة. والمبحث الأول هو تقديم للأدبيين والروائيتين وصدى مرجعية كتابة هذين العملين. في هذا المبحث، ستقدّم الباحثة بإيجاز سيرة الأديبين، وستعرّف القرّاء

بأحداث "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات نائب في الأرياف" وخلفية كتابتهما تمهيدا لدراسة المبحث الثاني الذي يعرض المهاد الفكري والمرجعي الذي غذى هذين النصين، حيث أنّ "قصة آه كيو الحقيقية" تمّت كتابتها عام ١٩٢١، وبتأخذ الريف الصيني قبل ثورة ١٩١١^(١) وبعدها كمرجعية. أما "يوميات نائب في الأرياف"، فتّمّت كتابتها عام ١٩٣٨، وهي قد اتخذت من الريف المصري الرازح تحت الحكم البريطاني كخلفية اجتماعية. والتقارب في خلفيّة الكتابة للروائيتين يفضي إلى تقارب الفكرة المركزية لهما، ألا وهي مهاجمة فساد الطبقة الحاكمة وجهل فئة الفلاحين من خلال توصيف أنماط من الشخصيات الريفية، وذلك هو سبب أساسي لتخلف المجتمع الصيني والمصري آنذاك. وهذا محور البحث، حيث سيفارن بين شخصيات الفلاحين والمتقنين وأصحاب الأراضي والنساء، لأنهم يشكلون الصورة المصغرة للمجتمع الريفي الصيني والمصري الحديث. وفي سياق البحث، ستحلّل الباحثة كيفية وصف الكاتبين للشخصيات بطريقة ساحرة.

المبحث الأول: سيرة الكاتبين وملخص روايتهما والمقارنة بين خلفيتهما.

١. سيرة الكاتبين:

لو شون (١٨٨١ - ١٩٣٦) هو أشهر كاتب ومفكر وثورّي صيني، وأيضاً من أهمّ رواد الأدب الصيني الحديث. ولد في عائلة ميسورة الحال في محافظة شاوشينغ بمقاطعة تشجيانغ، وكان اسمه الأصلي تشو تشانغشو، غيّرهُ إلى تشو شورن المؤلف عند أسماع الناس. وفي عام ١٨٩٣، أتهم جده الأستاذ الكبير بالمشاركة في قضية رشوة، ثمّ لجأ جميع أفراد الأسرة إلى الأهالي المقيمين في الريف، حيث كان الكاتب يستمتع بتجربة حياته الريفية. وفي عام ١٨٩٧، فارق أبو لو شيون الشاب الحياة، فعزم على دراسة الطب لعلاج المرضى مثل والده. وفي عام ١٩٠٢، سافر إلى اليابان لدراسة الطب على نفقة الحكومة. وأثناء دراسته في اليابان، شاهد فيلمًا غير حياته، حيث قطعت رؤوس الصينيين من قبل اليابانيين، لكن الصينيين صقّوا بأيديهم تعبيراً عن التحية. تأثر لو شيون بهذا المشهد تأثراً شديداً، فكتب في مقدّمة مجموعته القصصية "دعوة للسلام": "وعيت أنّ دراسة الطب ليست أمراً بالغ الأهمية، إذ إنّ المواطنين الجهلاء، مهما تقو بنيتهم، يكونوا المادّة المعروضة للجمهور أو المشاهدين بدون تفكير، فلا داعي لتأسّف على وفاتهم بالمرض."^(٢) فتخلّى عن الطب واتّجه إلى الأدب مدركاً أنّ دراسة الطب لا تنفد إلا أجساد الناس، وأنّ خدر الناس وجهلهم أكثر رعباً. كما قدّم لو شيون مساهمات كبيرة في العديد من المجالات طوال حياته مثل الإبداع الأدبي والنقد الأدبي والبحث الأيديولوجي وبحث التاريخ الأدبي. كان له تأثير كبير على تطوير الأيديولوجيا والثقافة الاجتماعية الصينية بعد "حركة ٤ مايو". يمكن تسميته الروح الوطنية للصين الحديثة، كما ساهم بشكل مباشر في تشكيل "الأدب الريفي"^(٣).

وتوفيق الحكيم هو من أشهر الكتّاب في الأدب الحديث والمعاصر في مصر وفي الوطن العربي كلّهُ، وهو رائد المسرحية العربية. توفيق الحكيم من مواليد ١٨٩٨، ولد في عائلة ثرية

بالإسكندرية. وكان والده قاضياً ومستشاراً قانونياً في الدائرة القضائية، وكانت والدته سليلية السرايا التركية فهي ابنة أحد الضباط الأتراك. قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩، فحرّكت مشاعر الشعب وعواطفه، فاندمج توفيق الحكيم في حركات الثورة رغم صغر سنّه.^(٤) فترك هذا الأمر شعورا وطنيا عميقا في قلبه. وفي عام ١٩٢٤، بعد تخرّجه من كلية الحقوق، أرسله والده إلى فرنسا على أمل أن يتمكّن من الحصول على شهادة الدكتوراه في القانون. وخلال دراسته في فرنسا، كرّس توفيق حكيم نفسه لدراسة الأدب والفن الغربيين، وتأثر بعمق بأعلام المسرحية مثل جورج برنارد شو وإبسن. وبعد عودته إلى البلاد، ركّز على التفكير في المشاكل الأبدية للإنسان، فأبدع سلسلة من المسرحيات الفلسفية. لعلّ أعظم إنجاز للكاتب هو المسرحية التي نمت وتطوّرت بفضلها، والتي يمكن مقارنتها بأفضل المسرحيات في العالم.^(٥)

٢. ملخّص روايتهما:

"قصة آه كيو الحقيقية" هي رواية كتبها لو شيون في ديسمبر ١٩٢١. وهي مقسّمة إلى تسعة فصول وهي واحدة من روائع لو شيون في الأدب الريفي. وتتخذ الرواية الريف الصيني قبل ثورة ١٩١١ وبعدها خلفية اجتماعية، وتصف تجربة آه كيو، المزارع الفقير المتشرّد، في قرية ويتشانغ. ويعمل آه كيو عملا متفرّقا في القرية من أجل أن يكسب دخلاً ضئيلاً لتغطية نفقاته. ويسكن آه كيو في معبد القرية والقرويون هنالك دائماً ما ينظرون إليه بازدراء. وفي يوم ما، يتقدم بطلب يد خادمة عائلة السيد تشاو، وهو من طبقة نبلاء ريفية ثرية، فيغضب السيد تشاو غضبا شديدا ويجرّده من لحافه وملابسه، ولم يترك له سوى البنطلون. وبعد ذلك، لم يعد أهل القرية يوظّفونه، فيذهب آه كيو إلى المدينة لكسب لقمة العيش. وبعد سنوات قليلة، يعود إلى قرية ويتشانغ، وقد يغيّر مظهره، حيث أنه يبدو غنيّا من ملبسه وسلوكياته. فيكتسب احترام القرويين. ولم يمض وقت طويل حتى تقع الثورة. لم يعرف آه كيو لمن تستهدف الثورة، لكنّه يريد الانضمام إليها. لكن المغتربين الثوريين والابن الأكبر للسيد تشيان الذي يسمّى بـ"مقدّ الشيطان الأجنبي" بسبب تجربته الدراسية في اليابان، لم يسمحوا له بالانضمام. وفي نهاية الرواية، تتعرض عائلة السيد تشاو للسطوة، ويتهّم آه كيو بأنه الفاعل، وتم إعدامه أخيراً بالرصاص. وفيما يتعلق بالعرض من كتابة هذه الرواية، قال لو شيون: "لم أكن أنوي إدراج الرواية إلى أصناف الأدب، بل استخدم قوتها لإصلاح المجتمع".^(٦) وتنتقد هذه الرواية إقطاعية المجتمع الصيني وتخلّفه وفساده وغيرها من الخصائص الاجتماعية، وتكشف بشكل فعال عن مشاهد حياة الشعب الصيني وأحوالهم النفسية غير السليمة.

وقد نُشرت رواية "يوميات نائب في الأرياف" عام ١٩٣٧، وهي أبرز رواية ريفية لتوفيق، حملت في البداية عنوان "يوميات نائب في الأقاليم".^(٧) وهي تجسيد لتجربة الكاتب الذي عمِل نائبا في الريف بعد عودته إلى البلاد عام ١٩٢٨، الأمر الذي أتاح له فرصة الاختلاط بالفلاحين الفقراء في مصر، ومراقبة جوانب الريف المظلمة بوضوح. وهذا بما أنّ الحكيم كان "واعيا بقضايا وطنه، وقضايا مجتمعه، مدركا أبعاد الأحداث والمتغيّرات الحضارية، متنبعا بدقة

مظاهر التناقض في الواقع بين القانون والحقيقة".^(٨) وتبدأ القصة بسرد قضية قمر الدولة علوان على شكل يوميات لاثني عشر يوماً، وعلوان فلاح في إحدى قرى مصر ومضروب بحادثة إطلاق نار. فينتج مأمور المركز والنائب ومساعد النيابة ودرويش عصفور إلى مسرح الجريمة لبدء التحقيق. ثم يبدأ النائب بسؤال وتسجيل ما الذي يجب تسجيله حسب الإجراءات القضائية الوطنية، وقد حضر علوان الموت. وأثناء عملية التحقيق، تصبح ريم البالغة من العمر ستة عشر عاماً، أخت زوجة علوان الراحلة، مشتبهاً فيها. عندما تحضر ريم إلى مكتب النائب، يُعجب مأمور المركز والنائب ومساعد النيابة والمحضر ودرويش عصفور الذي يساعد في التحقيق في القضية بجمالها الفتان. وبعد سؤالها عن بعض الأسئلة، يحين موعد الجلسة في دار النيابة. فيقررون تأجيل استجوابها. ثم يقول مأمور المركز الطامع فيها أنه سيأخذها إلى منزله لتقضي الليلة مع زوجته وأطفاله. وأما المضروب علوان الذي في حالة الغيبوبة، فيستعيد القليل من الوعي في المستشفى ويتهم ريم بأنها القاتلة. ثم تختفي ريم من بيت مأمور المركز وتظهر مع الشيخ عصفور في المستشفى. فيرسل مأمور المركز رجال الشرطة لاعتقالهما، ولكن تم القبض على عصفور فقط. وفي النهاية، تم العثور على جثة ريم على ضفة الترع، وتبقى هذه القضية عالقة بدون نتائج. إذن تكشف "يوميات نائب في الأرياف" وضع المجتمع الفاسد والمتخلف آنذاك في مصر، وخاصة الوضع الريفي المصري، من خلال توصيف صور مأمور المركز والعمدة والقاضي المسرع والمتباطئ وأنماط الفلاحين.^(٩)

٣. المقارنة في خلفية الكتابة للروائيتين:

تمت كتابة "قصة آه كيو الحقيقية" في ديسمبر ١٩٢١ على خلفية ثورة ١٩١١، التي اندلعت بقيادة سون يات سين القائد السياسي في أكتوبر من ذلك العام. وقبل ذلك، كان الإمبرياليون يصعدون من عدوانهم على الصين ويطبّقون سياسة "حكم الصين من قبل الصينيين"، وأصبحت حكومة تشينغ الملكية أداة حكم الصين للإمبريالية. وفي رأس السنة الجديدة لعام ١٩١٢، تم تأسيس جمهورية الصين^(١٠)، وتولّى سون يات سين رئاستها مؤقتاً. وكان تنازل بويي، آخر إمبراطور لأسرة تشينغ عن عرشه في السنة نفسها علامة النجاح للثورة. إذ أنها أطاحت بوكيل الإمبريالية في الصين، وأنهت النظام الملكي الاستبدادي الإقطاعي الذي حكم الصين لأكثر من ألفي عام، وحرّرت عقول الناس بشكل كبير. ومع ذلك، سرق الرجعي يوان شيكاي ثمار الثورة. في ٢٢ يناير عام ١٩١٢، أصدر سون يات سين بياناً يفيد بأنه إذا أعلن يوان شيكاي، رئيس وزراء حكومة تشينغ السابق، عن دعمه لنظام الجمهورية، فإنه سيستقيل من منصب الرئيس المؤقت وينتخب يوان كرئيس مؤقت. وافق يوان على تطبيق نظام الجمهورية، فتولّى منصب الرئيس المؤقت لجمهورية الصين في بكين يوم ١٠ مارس. وبدعم من الإمبرياليين البريطانيين واليابانيين، أتم يوان قبوله للعرش الملكي في ديسمبر ١٩١٥، فأطاح بجمهورية الصين، وأعلن نفسه إمبراطوراً. ثم غير اسم الدولة إلى الإمبراطورية الصينية، المعروفة باسم "نظام هونغ شيان الملكي" في التاريخ. ثم أطلقت "حركة الحماية الوطنية" ضد استعادة يوان للنظام

الإمبراطوري في الصين، والنتيجة هي أنّ يوان شيكاي فشل وتنازل عن العرش. وبدأ عصر أمراء الحرب عام ١٩١٦ عقب وفاة يوان، ولم تعد توجد في الصين قوة حازمة لحكم البلاد بأكملها، لذلك انقسمت عصبة أمراء الحرب التي أسسه يوان إلى ثلاثة فرق من أجل مصالحهم. وكان الشعب الصيني يعيش تحت استغلال القوات الإقطاعية المتبقية.^(١١)

وفي الوقت نفسه، خلال الحرب العالمية الأولى، لم يكن لدى القوى الأوروبية وقت للنظر بشؤون الصين، فاغتنمت اليابان الفرصة لتصعيد عدوانها على الصين، مما أضّر بشدة بسيادة الصين. وأخذت تتزايد المشاعر المعادية لليابان بين الصينيين يوماً بعد يوم. وفي يناير ١٩١٩، عقدت الدول المنتصرة من بينها بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان وإيطاليا مؤتمر السلام مع ألمانيا في باريس، وقرّرت أن تترك اليابان امتيازات ألمانيا في شاندونغ بالصين. كانت الصين واحدة من الدول المنتصرة التي شاركت في الحرب على ألمانيا، لكن حكومة أمراء الحرب كانت مستعدة لقبول هذا القرار. فآثار فشل دبلوماسية الصين في مؤتمر السلام هذا حركة الرابع من مايو العظيمة، التي اندلعت عام ١٩١٩ وقادها الطلاب وشارك فيها عامة الناس والمواطنون ورجال الأعمال وطبقات أخرى. وهي حركة وطنية نفذت من خلال التظاهرات والعرائض والإضرابات والمقاومة العنيفة. إنّ "قصة آه كيو الحقيقية" هي رواية نقد اجتماعي كتبها لو شيون مستوحياً تلك الأحداث ومعتمداً مجريات حياة الناس في الريف آنذاك خلفية لروايته هذه.^(١٢)

أما "يوميات نائب في الأرياف" فترسم خلفيتها بعد ما حدث في القرن التاسع عشر، توصلت بريطانيا إلى الاتفاق مع فرنسا بأن فرنسا لن تتنافس مع بريطانيا على المستعمرة مصر، لكنها في ذلك الوقت كانت لا تزال تحت حكم الإمبراطورية العثمانية دولياً وقانوناً.^(١٣) بعد أن اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وألغى حكم عباس الثاني، وتحولت مصر بالكامل إلى مستعمرة بريطانية، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، طلب الزعيم الوطني المصري سعد زغلول من البريطانيين الموافقة على سفرهم إلى بريطانيا للتفاوض مع الحكومة البريطانية بشأن قضايا الحماية، ولكن تم رفضه ونفيه إلى شبه الجزيرة المالطية. وبعد سماع هذه الخبر، اتّحد العمال والفلاحون والطلاب ورجال الأعمال المصريون لإطلاق ثورة ١٩١٩ مطالبين بالإفراج عن سعد زغلول وباستقلال مصر. وفي عام ١٩٢٢، أعلنت بريطانيا نهاية حمايتها على مصر، ولكن مع أربعة تحفظات، مما يدلّ على أنّ مصر حصلت على استقلالها الاسمي فقط. وفي عام ١٩٢٣، أصدرت بريطانيا دستورا، ونفّذت نظاماً ملكياً دستورياً في مصر، لكن الدستور أعطى الملك سلطة حقيقية، استخدمتها بريطانيا للإضرار بسلطة الشعب المصري. فأصبح الملك الوكيل الذي من خلاله حكمت بريطانيا مصر، كما كانت الحال في الصين في ذلك الوقت. أما الوضع في المناطق الريفية في مصر، فإنّه يتركز في الأراضي التي يملكها قلة من الناس، ويميل اقتصاد تلك المناطق ودخل الفلاحين إلى الانهيار.^(١٤)

وفي عام ١٩٣٦ حثت بريطانيا مصر على توقيع المعاهدة البريطانية المصرية غير المتكافئة استعداداً للحرب العالمية الثانية. وعارض المستعمرون البريطانيون انتفاض الشعب المصري لبناء حياة ديمقراطية حقيقية. كما منعت بريطانيا مصر من أن تصبح دولة صناعية وسمحت لها بزراعة القطن حصرياً، مما جعل حياة المزارعين مريعة للغاية. وفي الوقت نفسه، اختلط العديد من كبار الملاك في بعض الأحزاب السياسية واللجان التشريعية، مما تسبب في فساد سياسي خطير. وعلى هذا الأساس من الأحداث والمجريات الواقعية لشريحة الفلاحين ومعاناتهم تمت كتابة "يوميات نائب في الأرياف".^(١٥)

وبعد ذلك ليس من الصعب أن نجد تقارباً كبيراً بين الوضع الذي واجهه المجتمع الصيني والمجتمع المصري آنذاك. فكلاهما مضطهدان من قبل المستعمرين، وفي الوقت نفسه، أصبحت الطبقة الحاكمة في البلاد أداة من أدوات الاستعمار لحكم الشعب. والاضطهاد الذي مارسه الاستعماري والإقطاعية جعل شعبي البلدين يعيشان ويلات ويؤس كان لا بُدَّ لأدبيين من الطراز الأول أن يقفا موقف النقد والكشف عن تلك الأوضاع، وقد أبدعا توفيق ولو شيون أيما إبداع في توجيه مسار السرد الواقعي أو الاجتماعي.

المبحث الثاني: المقارنة في الفكرة الرئيسية للروايتين

لعل وراء روعة الروايتين المدروستين ومنزلتهما الرفيعة في الأدب الصيني والأدب المصري؛ أنهما تحتويان على الفكر النقدي للكاتبين وتطلعهما إلى مجتمع حقيقي، وأنَّ الفكرة الرئيسية في عمليهما تنصب على أوضح المشكلات الموجودة في المجتمع الصيني والمصري في ذلك الوقت. ولا يغفل أثر تقارب المنطلقات التاريخية والأصداء الواقعية لكلتا الروايتين في صياغة الفكرة الرئيسية.

١. الفكرة الرئيسية لـ "قصة آه كيو الحقيقية" و لـ "يوميات نائب في الأرياف":

تنطوي "قصة آه كيو الحقيقية" على آراء لو شيون في الأزمة الاجتماعية في الصين منذ حرب الأفيون^(١٦). والعصر الذي وُلد الكاتب ونشأ فيه كان عصراً متدهوراً، فكان "إنقاذ الدولة" أسمى رسالة أكلها المجتمع الصيني لكل من يحب الدولة. وإنَّ الصين استقبلت ثورة ١٩١١ أخيراً بعد أن مرّت بسلسلة من الإصلاحات لإنقاذ البلاد، مثل حركة التغريب وحركة الإصلاح عام ١٨٩٨. لكن سرقت ثمار الثورة من قبل يوان شيكاي، ممثل قوات أمراء الحرب، فبقيت الصين صامتة لا ترى أملاً جديداً. وتشكّل عند لو شيون، الذي قد عاش حركات "الإنقاذ الدولة"، وعي عام بأزمة المجتمع الصيني، ألا وهي مشكلة الناس، فإذا لا يتمكن الصينيون من التخلص من الجهل، فلن يتمكن المجتمع الصيني من التقدم، ولن تحلَّ أزمته بشكل جذري. إنَّ صورة آه كيو التي وصفها الكاتب هي صورة رجل مستخفّ بذاته وساع وراء الحياة بعمى، وظالم للضعفاء. وفيه ظلٌّ لكل صيني. إذا لم تُصلح شخصية الصينيين المريضة، فلن يكون للمجتمع الصيني مستقبل مشرق. إذن، ما أسباب هذا الجهل المُطبق على الصينيين؟ استهدف لو

الشخصيات في روايتي: "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات نائب في الأرياف" دراسة مقارنة.....(٤٣٠)

شيون نظام العشيرة الإقطاعي، الذي هو نظام ديني وأسرّي يتسم بالسلطة الأبوية والقبلية. وقد أصبح دمج مع الكونفوشيوسية جوهر الثقافة التقليدية الصينية. "وأصبحت" السلطة السياسية وسلطة الإله وسلطة العشيرة وسلطة الزوج" المستمدة منه عقدة مقيدة لانطلاق الشعب الصيني، ولا سيما ثقلها على المزارعين".^(١٧) وقد نفذ لو شيون إلى نقد هذه السلطة في الرواية. وأيضاً، فإن "قصة آه كيو الحقيقية" هي إعادة تفكير في ثورة ١٩١١. وتشير الرواية من خلال فهم آه كيو للثورة وثورته مقلد الشيطان الأجنبي ومرشح تشاو الناجح في المحافظة^(١٨) إلى أنّ فشل ثورة ١٩١١ كان بسبب عدم تعميم مبادئ الثورة بين الجماهير.

أما "يوميات نائب في الأرياف" فتعتمد على الرسائل والمذكرات اليومية منذ ١١ من أكتوبر إلى ٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٢٩،^(١٩) فهي من تجربة توفيق الحقيقية. وفي عام ١٩١٨ كتب الحكيم مسرحيته الأولى "الضيف الثقيل"، حيث أظهرت المسرحية، بما لها من انعكاسات سياسية عميقة، النزعة القومية والوطنية للكاتب الشاب. ولعلّ خير دليل على ذلك أنّه رُجّ في السجن مع أعمامه وعماته بسبب مشاركتهم في ثورة ١٩١٩، عندما كان يقيم في بيت عمّه في القاهرة للالتحاق بالمدرسة الثانوية. وكانت السياسة المصرية في ذلك الوقت قاسية جداً، إذ أنّ المستعمرين البريطانيين تواطأوا مع القوى الرجعية الداخلية على استغلال الشعب المصري. فحلّ الحكيم في "يوميات نائب في الأرياف" السببين وراء تخلف المجتمع المصري. ويتطابق هذان السببان مع السببين الواردين في "قصة آه كيو الحقيقية". الأول هو فساد السياسة وانفصالها عن حياة الشعب وحيث يلمح الكاتب الفساد في المجال السياسي المصري من خلال توصيف الفساد في مجال القضاء، الذي هو كحال ثورة سين هاي التي نفذها الثوريون، لكنها منفصلة عن عامة الناس، وهم لا يعرفون إلا القليل عنها. والثاني هو مشكلة الناس، حيث أنّ الشعب المصري قد اعتاد على الخضوع لفسوة المجتمع بسبب غلبة النظام الإقطاعي المتخلف الطويلة الأمد عليه. وعندما تصل هذه العادة إلى أقصى الحدود، يصبح الشعب شريكاً فيها، ويمكن أن نجد ذلك في الفلاحين والمثقفين وما يشبههم من الشخصيات الأخرى.

٢. المقارنة في شخصيات الروائيتين:

خلق لو شون وتوفيق الحكيم العديد من الشخصيات النموذجية في "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات نائب في الأرياف"، ومنهم الفلاحون والمثقفون والنساء وطبقة النبلاء الريفية، إلخ. وهم يعتبرون عنصراً مهماً في الرواية الريفية، ويمكن للقارئ الاطلاع على الوضع الأساسي في المناطق الريفية في الصين ومصر من خلال المشاهد التي وصفها الروائتان.

١. الفلاحون:

هناك نمطان من سرد لو شيون عن الفلاحين في "قصة آه كيو الحقيقية"، أحدهما عن "طريقة كسب الفوز الوجداني" لآه كيو، والآخر هو تصرفات آه كيو والفلاحين الآخرين.

إن نقد لو شيون "طريقة كسب الفوز الوجداني" لآه كيو هو هدف النص بأكمله. عندما تعرّض آه كيو للضرب العنيف من قبل مزارعي ويتشانغ، خدّر نفسه بالقول: "كأن ابني ضربني، فالى أي حال وصلت الدنيا في هذه الأيام" (٢٠) ، ثم مضى في سبيله قانعا بالفوز. وعندما صادف مقلّد الشيطان الأجنبي الذي يحتقره آه كيو بقصّة الضفيرة (٢١) ، ضُرب مرة أخرى. بعد أن ضرب، "أخذ يشعر بشيء من الارتياح. وفضلا عن ذلك، فإنّ المقدرة القوية على النسيان التي ورثها من أسلافه قد أفادته فمضى بتوّدة، حين وصل إلى باب الحانة شعر بالسعادة القصوى مرّة أخرى" (٢٢). إنّ "طريقة كسب الفوز الوجداني" لآه كيو لا تزال معه حتى وهو في عربة متجهة إلى ساحة الإعدام، "بدا له أنه يمكن أن يكون نصيب كل إنسان في هذا العالم أن يقطع رأسه." تحت قلم لو شيون، قد مثل آه كيو كثرة كثيرة مما لاحظه الكاتب في أبناء وطنه وما تأمله في ذاته، الذي ينطبق بعضه على آه كيو كفلاح صيني بينما يمثل بعضه الآخر صفة عامة تنطبق على الصينيين بمختلف طبقاتهم.

والنمط الثاني من السرد عن الفلاحين المختلفين. سمتهم الأولى أنّهم فلاحون معدمون بدون أسماء مثل آه كيو وآه دي. كتب الكاتب عن آه كيو قائلا: "لكنني في الحقيقة لا أعرف لقب آه كيو. فمرّة يبدو أنه يسمّى "تشاو"، ولكن في اليوم التالي يبدو أنّ الأمور التبتست، فلا تظهر الحقيقة" (٢٣) وهذا يدلّ على أنّ الفلاحين طبقة مهمة وقتند في الصين، ولم يكن أحد يهتم بكياناتهم وبظروفهم المعيشية. وفيما يتعلق بفقرهم، جاء في الرواية أنه في يوم من الأيام قبل قديم الصيف، شعر آه كيو بشيء من البرد، أولاً لأنه كان جائعاً، وثانياً لأنه لم يتبق له سوى بنطلون لا يمكنه خلعهم. وعلى الرغم من أنّ الكاتب يتعاطف مع وضعهم المسكين، إلا أنه ينتقد جهلهم وتخلفهم بسخرية. "كان أهل القرية يجلبون السيد تشاو والسيد تشيان وتحترمونها كثيراً، فهما فضلاً عن غناهما أبوان لمتعلمين شابين." (٢٤) كان السيد تشاو والسيد تشيان مالكي الأراضي ومستغلي طبقة الفلاحين، الذين يجب عليهم معارضتهما، لكنهم في الواقع كانوا يحترمونها بشكل كبير. كما لمح القراء جهل الفلاحين من ردود فعلهم لمشهد المعركة بين آه كيو وآه دي. "طيب! طيب!" ولكن دون أن يعرف أحد أ صلحا أرادوا، أم ثناء، أم تحريضا لهما على جهود أكثر. " بالنسبة للمعركة بين أهالي القرية، فإن القرويين لم يصلحوا فحسب، بل شاهدوها مثل مشاهدة مسرحية وحرصوهم حتى تكون هذه المسرحية أكثر روعة. أمّا السمة الثانية للفلاحين بقلم لو شيون، فهم يظلمون من أكثر منهم ضعفاً وبؤساً بينما يخافون من الأقوياء وهذا بالإضافة إلى تملقهم. عندما عاد آه كيو إلى القرية من المدينة، قد أصبح غنياً وغير ملابس. " وكان من عادة أهل ويتشانغ حين يبدو لهم شيء غير اعتيادي من رجل ما أن يعاملوه بطريقة أقرب إلى الاحترام منها إلى الغطرسة..... وهكذا أبدى الخادم وصاحب الحانة والحاضرون والمارون نوعاً من الريبة ممزوجاً بالاحترام. " وآه كيو الذي كان هؤلاء الناس يحتقرونه بفقره قد كسب احترامهم بملابسه اللانقة، الأمر الذي يوضح تملق الفلاحين وتخلفهم.

والفلاحون بقلم توفيق الحكيم يشابهون الفلاحين في "قصة آه كيو الحقيقية". وعلى الرغم من عدم توصيفهم بطريقة سرد "طريقة كسب الفوز الوجداني" لآه كيو، إلا أنهم يعانون من مرض

عام طويل الأمد، الذي ينتقده الكاتب في "يوميات نائب في الأرياف" عندما يكتب الحكيم عن قضية تجارة الاستنجاز على القتل، سأل قائلاً: "أهو نقص خلقي في الفلاح يضاف إلى أمراضهم الجسمانية والفكرية والاجتماعية الكثيرة. أم إثمًا قلة مقدرة وضعف ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال العبيد من قديم في الأرض والزراعة وترك الفروسية والجندية للمغيرين وأقربهم بنا عهدا الأعراب والأتراك".^(٢٥) إذا كان المرض الشائع للفلاحين الصينيين هو "طريقة كسب الفوز الوجداني"، فإن المرض الشائع للفلاحين المصريين هو قلة الشجاعة للمقاومة بسبب الجبن وضعف ثقة بالنفس. بالإضافة إلى ذلك، فإن الفلاحين المصريين في حالة شديدة الفقر مثل حالة الفلاحين الصينيين وقتئذ. على سبيل المثال، تم القبض على فلاح لسرقته كوز ذرة. أثناء الجلسة، سأله مساعد النيابة: أنت سرت كوز الذرة؟

فأجاب الشيخ لفوره من جوف مقروح: من جوعي" ^(٢٦)

عندما يعلن القرار عليه بالحبس لأربعة أيام وتجديده، "قَلَبَ الرجل كفه وجها وظهرا حامدا ربّه: وماله الحبس حلو. تلقى فيه على الأقل لقمة مضمونة. السلام عليكم" ^(٢٧). إذ إن الشيخ يرى أنّ الحبس أفضل من البقاء في البيت حيث الحرية المسماة بها، ولا يستطيع أن يجد فيه لقمة تسد شينا من الجوع. وأيضًا في مشهد اتهام الفلاح بالنقاطه الملابس في الترعّة، يقول القاضي أفرج عنكم بضمان مالي.

مالي؟! الفلاحون عرايا يا حضرة النائب. ^(٢٨)

ومن الأمثلة المذكورة أعلاه، يمكن أن يلمس القراء فقر الفلاحين المصريين وانفصال النظام القضائي عن المجتمع المصري. فالقضاء في مصر مجرد هيئة شكلية، وأصبح الفلاحون المساكين أول ضحايا هذه الهيئة. على رغم من تعاطف الحكيم مع الفلاحين الفقراء، غير أنه ينتقد أيضًا جهلهم وتخلفهم كما فعل لوشيون. عند وصف ردود الفعل للفلاحين في الجلسة، يكتب الحكيم على هذا النحو "والجمهور يشاهد ويحكم لا على لب الموضوع، بل على مدى إتقان الحركات والإشارات ورنين صوت في القاعة، ومهارة الإلقاء والضرب باليد فوق المنصة" ^(٢٩). إذا كان وصف لو شيون لتعظيم الفلاحين الصينيين لملك الاراضي الذين يستغلونهم غامضًا بعض الشيء، فإن وصف الحكيم لجهل الفلاحين المصريين وتخلفهم سافر مكشوف.

وليس صعبا أن نجد كليهما لو شون وتوفيق الحكيم يعتمدان السخرية عند توصيف صور الفلاحين وتجسيد شخصياتهم. وهذا بسبب أنّ الأدب الساخر له تأثير قوي ولديه درجة معينة من الوظيفة التعليمية في محاولة إيقاظ قلوب الناس. وأيضًا شخصيات الفلاحين وهيأتهم تنطوي على ما يثير السخرية.

إنّ الغرض من رواية لو شون يتجلى في أن "كتاب" الرابع من مايو" ^(٣٠) الذين يمثلهم لو شون ينتقدون تخلف الفلاحين وجهلهم من منظور التنوير، مبينين حالتهم العقلية والوجدانية، وهم تحت الاضطهاد الإقطاعي" ^(٣١). وغاية نقدهم هي إيقاظ وعي طبقة الفلاحين وتشجيعهم على

السير مع تيار التاريخ والنهوض من أجل المقاومة. أما غرض رواية توفيق الحكيم هذه، فهو بيان الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في مصر، ولا سيما في الأرياف وأيضا إيضاح الفراء بما يجري على النظام الإداري في بلاد الريف" (٣٢)، أمل أن ينهض الشعب للمقاومة والسعي إلى حياة أفضل بعد رؤية هذا الوضع بوضوح.

٢. المثقفون:

المثقفون في "قصة آه كيو الحقيقية" هم مرشح تشاو الناجح في المحافظة ومقلد الشيطان الأجنبي والمرشح الناجح في المقاطعة. إن مرشح تشاو الناجح في المحافظة هو ابن السيد تشاو من طبقة نبلاء ريفية، وقد اتبع انتخابه نظام التعليم الإقطاعي. فبطبيعة الحال، هو يحافظ على النظام الإقطاعي. أما مقلد الشيطان الأجنبي، فهو ابن السيد تشيان، الذي هو كذلك من طبقة نبلاء الريفية. "لقد درس مقلد الشيطان الأجنبي في مدرسة أجنبية في المدينة، ويبدو أنه قد سافر إلى اليابان بعد الدراسة. وحين عاد بعد نصف عام، كانت له ساقان مستقيمان وقد اختفت ضفيرته." (٣٣) هم يتمتعون بوعي سياسي عالٍ. تم إلغاء نظام الامتحان الإمبراطوري في نهاية أسرة تشينغ، فاستشف مقلد الشيطان الأجنبي أن المدارس الحديثة هي الاتجاه، لذلك التحق بها وسافر بعد ذلك إلى اليابان للدراسة. إذ إن مقلد الشيطان الأجنبي عرف أن الثورة كانت وشيكة الوقوع، وأن أسرة تشينغ ستهلك قريبا، فقام بقص ضفيرته. وإذا وقعت الثورة، يمكنه بطبيعة الحال الانضمام إليها والحصول على ما يطمح من خلالها. فلا عجب أنه أصبح أول شخص يربط ثورة المدينة بثورة ويتسوانغ عندما وصلت أخبار الثورة إلى القرية. أما مرشح تشاو الناجح في المحافظة، ف"ما إن سمع بأن الثوريين قد دخلوا البلدة في تلك الليلة حتى طوى ضفيرته على رأسه في الحال، فكان أول من يزور مقلد الشيطان الأجنبي من عائلة تشيان الذي لم يكن على علاقة طيبة به قط. فهذا وقت يعمل فيه الجميع للإصلاح. وتحدثا حديثا سارا، وأصبحا في الحال رفيقين واتفقا على كل شيء، وقطعا عهدا على نفسيهما بأن يصبحا ثوريين." (٣٤) وفي نفس الوقت، هم فاسدون ومتخلفون، كما يجيدون الانتهازية والشكلية. فعند اختيار مكان للثورة، اختارا معبد الراهبات في القرية، لأنه لا يمكن أن يشكل تهديداً لحياتهما وممتلكاتهما، فمن الأيمن هنا للثورة. لقد حطما لوحة التنين "تحيا الإمبراطور" المعروضة فيه وسرقا التحفة النفيسة منه.

ومن ممثلي المثقفين في "يوميات النائب في الأرياف" هم مأمور المركز والقاضي المسرع، والقاضي المتباطئ والنائب ومساعد النيابة وإلخ. وهم ممارسو الشكلية طوعا وكرها. بعد وقوع حادثة علوان، ذهب النائب ومأمور المركز ومساعد النيابة إلى بيت المجني عليه في وقت متأخر من الليل. وكان علوان محتضرا، لكنهم كانوا يسجلون سجلات مفصلة للغاية. "ذلك أني أحب دائما أن أعنتني بتحرير (محضري)، أن أجعله مرتبا ترتيبا منطيقيا والمحضر هو كل شيء في

نظر أولى الأمر. وهو وحده الشهادة الناطقة للنائب بالدقة والبراعة. أما ضبط الجاني أمر لا يسأل عنه أحد." (٣٥) لماذا يسلك النائب العادل طريقة الشكلية؟ هذا بسبب أنه مرة قد ضبط الجاني والمحضر في عشر صفحات. "فصاح رئيس النيابة مندحشا: قضية قتل تحقيق في عشر صفحات فقط؟ قتل! قتل رجل! قتل نفس آدمية في عشر صفحات؟! (٣٦) يوضح توفيق الحكيم فساد النظام القضائي المصري واللاعقلانية من خلال أساليبه الساخرة. إن النائب ومساعد النيابة هما يمثلان شخصيات إيجابية في الرواية، وعلى الرغم من أنهما يتمسكان بالنية المتمثلة في الالتزام بواجباتهما وتنفيذ القانون على أساس مبدأ الإنصاف والمساهمة من أجل البلاد، بيد أن سلطتهما أقل من أن تهز النظام القضائي بأكمله. فمن أجل لقمة العيش، يضطران إلى أن يصبحا منفذين للنظام القضائي المصري. أمّا القضاة الآخرون، فهم منفذون للنظام القضائي المصري طوعا. فلنضرب القاضي المسرع كالمثل. هو يغرم بخمسين قرشا جميع المخالفات دون تمييز. ومهما كثرت القضايا، فلن يفته آخر قطار منطلق في الحادية عشرة إلى القاهرة. غابت عدالة القضاء في قلبه، ويبدو له أن العمل القضائي الذي يرتبط بالحياة اليومية لآلاف الناس العاديين غير مهمة. والقاضي المتباطئ الذي يقيم في دائرة المركز، يغرم بعشرين قرشا جميع القضايا بدون تمييز. هو ليس ممثلاً للعدالة، بل هو عكس القاضي المسرع، وهو شارذ الذهن أثناء الجلسة ويكرر سؤال عما إذا كان الشهود قد حلفوا اليمين.

ومأمور المركز في يوميات نائب في الأرياف هو ممثل نموذجي للمتفقين المصريين. بالإضافة إلى إتقانه الشكلية، فإنه انتهازي مثل مرشح تشاو الناجح في المحافظة ومقلد الشيطان الأجنبي. عندما ذهب هو والنائب إلى القرية للتحقيق في القضية، تعدد تأجيل التحقيق ليجعل العمدة يعد له وجبة كبيرة. قال للعمدة: "اسمع يا عمدة! لا بأس من كم زغولة مدفونة في الأرز والقرقيش إياها والفطير المشلتت: وإن كان عليه كم ككتوت محمر مفيش ضرر، واللبن الرايب طبعاً شيء مفيد للصحة، ولا بأس من....." (٣٧) طلب منه عشرة أطباق في الفطور. إنه يستغل كل فرصة للاستفادة من منصبه كمأمور المركز، سلوكه هذا مماثل لسلوك مرشح تشاو الناجح في المحافظة ومقلد الشيطان الأجنبي اللذين سرقا التحفة النفيسة من معبد الراهبات. وبالنسبة للانتخاب، قال مأمور المركز: "دى دايماً طريقتي في الانتخابات: الحرية المطلقة، أترك الناس تنتخب على كيفها، لغاية ما تتم عملية الانتخابات، وبعدين أقوم بكل بساطة شايل صندوق الأصوات وأرميه في الترع، وأروح واضع مطرحة الصندوق اللي إحنا موضبينة على مهلنا." (٣٨) في الساحة السياسية المصرية المتغيرة يومئذ، وقف مأمور المركز من خلال هذه الطريقة مع البرلمان المنتخب حديثاً، ومما يضمن أمن منصبه ومصالحه.

٣. النساء:

الشخصية المثالية للمرأة في "القصة آه كيو الحقيقية" هي الراهبة الصغيرة. لم يكن للمرأة في المجتمع الإقطاعي الصيني مكانة فطالما أُعتبرت رمزاً لسوء الحظ. بعد أن ضُرب آه كيو من قبل مقلد الشيطان الأجنبي، أُقبلت نحوه الراهبة الصغيرة. فقال: ربما كان تعاسة حظي أن أضطر

لأراك".^(٣٩) يرجع آه كيو سوء حظه اليوم إلى لقاء راهبة صغيرة، الأمر الذي يدل على أن احتفاظ الإقطاعية الباطل كان سائدا في المناطق الريفية في الصين وقتئذ. في هذا الصدد، يسخر لوشيون قائلا: "فأغلب الرجال الصينيين في وسعهم أن يكونوا قديسين وحكماء لولا الحقيقة المؤلمة، وهي أنّ النساء كن يغرينهم. لقد دمرت دا جي^(٤٠) أسرة شانغ الملكية، ودمرت باوسو أسرة تشو الملكية، أما أسرة تشن الملكية، فبالرغم من عدم وجود دليل تاريخي على ذلك، فإننا لا نخشى كثيرا إذا زعمنا أنّها قد سقطت بسبب بعض النساء." ^(٤١) وبديهي أن الرجال يتفوقون على النساء في المجتمع الإقطاعي، لذلك ينسب الرجال جميع الأخطاء إلى النساء. وكانت مكانة النساء متدنية، ولم يكن بإمكانهن تقرير مصيرهن. وهناك فقرة في الرواية تشي بأنّ النساء تُعاملن كالأغراض أو الأشياء. عندما تتجاذب "أمآه وو" الخادمة الوحيدة في بيت تشاو أطراف الحديث مع آه كيو، تقول له: "لم تأكل سيدتنا شيئا مدة يومين اثنين، لأن السيد يريد أن يشتري له محظية." ^(٤٢) تُستخدم كلمة "شراء" فقط عند شراء الأشياء، ولكن عندما يريد السيد تشيان الزواج من محظية، يستخدم الكاتب كلمة "شراء" عمداً لتعبير عن أن النساء في ذلك الوقت يعاملن كالأشياء، ولم يحظين بالاحترام الذي يستحقه.

ووضع النساء المصريات في "يوميات النائب في الأرياف" هو لا يقل أو يرتفع عن وضع النساء الصينيات في ذلك الوقت، ولم يُعن حتى بأرواحهن. قصّ طبيب مستشفى المركز على الكاتب قصة عسر الولادة لامرأة ريفية: "إن الداية تولد المرأة كما لو كانت جاموسة." ^(٤٣) حشت الداية رحم المرأة بالتبن بيدها الوسخة، الأمر الذي يقدم هلاك المرأة. كما يفصح الكاتب جهل النساء المصريات وتخلفن. عندما أنجبت المرأة، خرجت ذراع الجنين أولاً، ومضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال. فسأل الطبيب الداية:

لماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تحضري الطبيب؟

فأجابت: كنا منتظرين ستر ربنا، وقلنا المولى ينعمننا بالسلامة. ^(٤٤)

إن النساء الريفيات المصريات يفتقرن إلى الفهم الصحيح للمعرفة الإسلامية، وفي هذه الحالة تعتقد الحامل أنها يمكن أن تخرج من الخطر بدون أن تفعل أي شيء. وكنّ معظم النساء المصريات أميات يومئذ، حيث أن التعليم متخلف، لا سيما تعليم النساء الريفيات. فساد في الريف المصري الاحتفاظ الباطل، وكان هذا مقاربا لما كانت عليه الحال في الصين. وبالإضافة إلى ذلك، عُيّنت كلتا الروائيتين بطبقة النبلاء الريفية التي يمثلها السيد تشاو والعمدة، بل موضوعهما يقوم على انحلال هذه الطبقة أخلاقياً واجتماعياً. السيد تشاو ليس مسؤولاً وليس له ولاية إدارية رسمية على القرويين، "لكن هذه الطبقة تتمتع بسلطة كبيرة في المجتمع الريفي. لها الحق في التحكيم والفصل." ^(٤٥) إنهم مثل العمدة في "يوميات النائب في الأرياف"، الذي يحكم القرويين في قريته. كما تختلف حياتهم كثيراً عن حياة القرويين العاديين. على الرغم من أنه يكافح القرويون العاديون لكسب لقمة العيش، بين أن السيد تشاو مالك الأرضي الذي يستغل القرويين في قريته، عائلته غنية جدا. وهذا الأمر عينه نجده في "يوميات النائب في الأرياف"، حيث بعض الفقراء يفضلون الحبس لأنهم لا يستطيعون أن يجدوا ما يسد

الجوع. ولكن عندما يستقبل العمدة مأمور المركز، فإنه يقدم له كل الأطباق التي يطلبها منه مأمور المركز. لم يذكر توفيق الحكيم للقراء من أين يأتي دخل العمدة، فيترك الخيال لهم لتفكير في سبب تمكن العمدة من تقديم مثل هذه الوجبة الفاخرة في ظل استبداد الإمبريالية البريطانية في ذلك الوقت.

الخاتمة والنتائج:

توصلت الدراسة إلى أن "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات النائب في الأرياف" هما من الأعمال الأدبية الرائدة في ميدان السرد الريفي لرائدي الأدب الصيني والمصري لو شون وتوفيق الحكيم، وهما روايتان جديرتان بتصنيفهما في النقد الاجتماعي الناجع. ومن أهم نتائج البحث هي:

١. كلا الأدبين كانا يجيدان المراقبة الهادئة والوصف الموضوعي للفلاحين والمتقنين والنساء الريفيات ونبلاء الريف، فضلا عما تمخض من أساليب سردهما التي تندغم في خصائصها الواقعية البارزة.

٢. في الروايتين أظهر لو شون والحكيم تعاطفا شديدا مع الفلاحين الفقراء ووجهها النقد على عجزهم، لكنهما بصفتهم كاتبين وطنيين، لم يتوقفا عند هذا الحد، بل انتقدا جهلهم وتخلفهم، إذ إنهم لا يعرفون إلا الخضوع.

٣. علل الكاتبان سببية عدم تكوّن شخصية متماسكة بعيدة عن الجهل في مجتمع الفلاحين بسبب وجود النظام الإقطاعي المتخلف.

٤. أدرك الكاتبان استحالة تحقيق التقدم الحقيقي للمجتمعين الصيني والمصري بدون يقظة شعبيهما.

٥. وصف الكاتبان بالتفصيل وضع النساء الريفيات في الصين ومصر وضعهن الاجتماعي المتدني. وفي هذه البيئة لا يستطيع أن يجدن طريقة تقودهن إلى التغيير.

٦. كشف لو شون والحكيم عن سبب آخر لتخلف المجتمعين الصيني والمصري من خلال وصف طبقة المثقفين، ألا وهو فساد الطبقة الحاكمة. إن هذه الطبقة بارعة في الشكليات ولن تناضل من أجل رفاهية الشعب؛ لذلك فإن القوانين التي يسنونها والثورات والإصلاحات الاجتماعية التي يبادرون بها بعيدة كلّ البعد عن المجتمع، فهي لم تتوغل في الفلاحين ولا يمكنها الفوز بدعم طبقتهم، التي عددها أكبر في المجتمعين الصيني والمصري. ففشلت الثورات والإصلاحات.

٧. كتب الكاتبان عن الدودة التي نخرت المجتمع الريفي في الصين ومصر، ألا وهي طبقة النبلاء، وهي أيضا قوة لا يمكن تجاهلها في إعاقة تقدّم الصين ومصر.

الهوامش:

- ١ - ثورة ١٩١١ تعني ثورة سين هاي المذكورة أعلاه.
- ٢ - لو شيون، دعوة السلام، بكين: دار أدب الشعب للنشر، ١٩٧٦، ٤.
- ٣ - لي يي وتشن جياجيان، الدراسة في لو شيون، بكين: دار التعليم العالي للنشر، ٢٠١٢، ٩٧.

- ٤ - إسماعيل أدهم وإبراهيم ناجي، توفيق الحكيم، القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١١، ٤٤.
- ٥ - جونج زيكونغ، تاريخ الأدب العربي، نان جينغ، دار بي لين للترجمة، ٢٠١٠، ٨٩٩.
- ٦ - مجموعة أعمال لو شيون، المجلد الرابع، بكين، دار أدب الشعب للنشر، ٢٠٠٥، ٥٢٥.
- ٧ - توفيق الحكيم: وثائق من كواليس الأدب، القاهرة، مؤسسة أخيار اليوم، ١٩٧٧، ١١٩.
- ٨ - بدير حلمي: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ط. ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ١٥٤.
- ٩ - ينظر: د. غالي شكري، ثورة المعتزل دراسة في أدب توفيق الحكيم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ١٥٩.
- ١٠ - جمهورية الصين مختلفة عن جمهورية الصين الشعبية. الثاني يقصد بها الصين الجديدة التي تأسست في ١٩٤٩ بقيادة ماو تسي دونغ.
- ١١ - ينظر: قاو لاولو، تاريخ ثورة شين هاي، بكين: دار التجارة للنشر، ١٩٢٣، ١٤.
- ١٢ - ينظر: قاو لاولو، تاريخ ثورة شين هاي، بكين: دار التجارة للنشر، ١٩٢٣، ٤٦.
- ١٣ - فريق الترجمة ل"التاريخ المبسط لمصر الحديثة والمعاصرة"، التاريخ المبسط لمصر الحديثة والمعاصرة، بكين، دار التجارة للطباعة، ١٩٨٠، ١٠٥. وهذا الكتاب مترجم إلي الصينية بالأجزاء من "ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢" الذي كتبه محمد أنيس ومحمد رجب الحزار عن دار النهضة العربية، ١٩٦٩.
- ١٤ - ينظر: د. غالي شكري، ثورة المعتزل دراسة في أدب توفيق الحكيم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ١٦٧.
- ١٥ - ينظر: د. غالي شكري، ثورة المعتزل دراسة في أدب توفيق الحكيم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ١٥٩، ١٦٧.
- ١٦ - حرب الأفيون كانت حرباً عدوانية غير عادلة شنتها بريطانيا على الصين من عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٤٢، وكانت أيضاً بداية تاريخ الصين الحديث المهين.
- ١٧ - لي بي وتشن جياجيان، الدراسة في لو شيون، بكين: دار التعليم العالي للنشر، ٢٠١٢، ٩٧.
- ١٨ - لنظام الامتحان الإمبراطوري الإقطاعي الصيني مراتب، المرتبة الأولى هو متعلم شاب قد نجح في الامتحان في البلدية وهو مؤهل للامتحان في المحافظة. والمرتبة الثانية هي مرشح ناجح في المحافظة، وهو مؤهل للامتحان في المقاطعة. المرتبة الثالثة هي مرشح ناجح في المقاطعة، وهو مؤهل للامتحان في قصر الامبراطور حتى ينجح فيه ويصبح مسؤولاً.
- ١٩ - حسين شوندي، أضواء نقدية على رواية يوميات نائب في الأرياف، إضاءات نقدية، العدد الأول، آذار ٢٠١١، ٣٣.
- ٢٠ - لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ١٠٦.
- ٢١ - تتميز الضفائر بميل سياسي واضح، فالحفاظ عليها يعني دعم حكومة تشينغ، وقطعها يعني دعم ثورة ١٩١١.
- ٢٢ - لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ١١٥.
- ٢٣ - المصدر نفسه، ٩٨.
- ٢٤ - المصدر نفسه، ١٠٤.
- ٢٥ - توفيق الحكيم، يوميات نائب في الأرياف، القاهرة، دار مصر للطباعة، دت، ١١٠.
- ٢٦ - المصدر نفسه، ٥٥.

الشخصيات في روايتي: "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات نائب في الأرياف" دراسة مقارنة.....(٤٣٨)

- ٢٧ - المصدر نفسه، ٥٦.
٢٨ - المصدر نفسه، ٥٩.
٢٩ - المصدر نفسه، ٨٠.
٣٠ - كتاب "الرابع من مايو" هم الكتاب الذين كانوا يدعون إلى الكتابة بالصينية المبسطة.
٣١ - تشن قوه، الدراسة في الرواية الريفية المعاصرة، تيان جين، دار جامعة نانكاى للنشر، ٢٠١٢، ١٢٤.
٣٢ - حسين شوندى، أوضاع نقدية على رواية يوميات نائب في الأرياف، إضاءات نقدية، العدد الأول، آذار ٢٠١١، ٣٦.
٣٣ - لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ١١٤.
٣٤ - المصدر نفسه، ١٤٩.
٣٥ - توفيق الحكيم، يوميات نائب في الأرياف، القاهرة، دار مصر للطباعة، دت، ١٧.
٣٦ - المصدر نفسه، ٢٢.
٣٧ - المصدر نفسه، ١٢٠.
٣٨ - المصدر نفسه، ٤٤.
٣٩ - لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ١١٦.
٤٠ - دا جي من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كانت محظية آخر ملوك أسرة شانغ. وباو سو المذكور أدناه من القرن الثامن قبل الميلاد، كانت خليفة آخر ملوك أسرة تشو الغربية.
٤١ - لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ١١٩.
٤٢ - المصدر نفسه، ١٢١.
٤٣ - توفيق الحكيم، يوميات نائب في الأرياف، القاهرة، دار مصر للطباعة، دت، ٩٤.
٤٤ - المصدر نفسه، ٩٤.
٤٥ - يوان هونغتاو، التحول الحديث لطبقة النبلاء الريفية، مجلة جامعة نينغ شيا، العدد الأول، يناير، ٢٠١٢، ٩.

المصادر والمراجع:

١. إسماعيل أدهم وإبراهيم ناجي، توفيق الحكيم، القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١١.
٢. بدير حلمي: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ط. ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
٣. توفيق الحكيم: وثائق من كواليس الأدب، القاهرة، مؤسسة أختيار اليوم، ١٩٧٧.
٤. توفيق الحكيم، يوميات نائب في الأرياف، القاهرة، دار مصر للطباعة، دت.
٥. تشن قوه، الدراسة في الرواية الريفية المعاصرة، تيان جين، دار جامعة نانكاى للنشر، ٢٠١٢.
٦. جونغ زيكونغ، تاريخ الأدب العربي، نان جينغ، دار بي لين للترجمة، ٢٠١٠.
٧. حسين شوندى، أوضاع نقدية على رواية يوميات نائب في الأرياف، إضاءات نقدية، العدد الأول، آذار ٢٠١١.
٨. غالي شكري، ثورة المعتزل دراسة في أدب توفيق الحكيم، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

الشخصيات في روايتي: "قصة آه كيو الحقيقية" و"يوميات نائب في الأرياف" دراسة مقارنة.....(٤٣٩)

٩. فريق الترجمة لـ"التاريخ المبسط لمصر الحديثة والمعاصرة"، التاريخ المبسط لمصر الحديثة والمعاصرة، بكين، دار التجارة للطباعة، ١٩٨٠.
١٠. قاو لاو، تاريخ ثورة شين هاي، بكين: دار التجارة للنشر، ١٩٢٣.
١١. لو شيون، دعوة للسلام، بكين: دار أدب الشعب للنشر، ١٩٧٦.
١٢. لو شيون، قصص لو شيون المختارة، بكين، دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٤.
١٣. لي يي وتشن جياجيان، الدراسة في لو شيون، بكين: دار التعليم العالي للنشر، ٢٠١٢.
١٤. مجموعة أعمال لو شيون، المجلد الرابع، بكين، دار أدب الشعب للنشر، ٢٠٠٥.
١٥. يوان هونغتاو، التحول الحديث لطبقة النبلاء الريفية، مجلة جامعة نينغ شيا، العدد الأول، يناير، ٢٠١٢.